منهج

سلسلة رقق قلبك

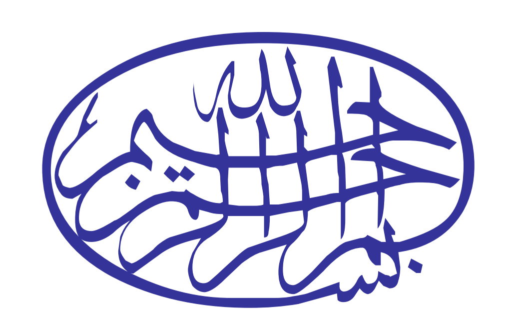


فضيلة الشيخ

هاني حلمي

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله

اللهم صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على حلمك بعد علمك

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قدرتك

اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ولوجهك خالصاً ولاتجعل فيه لأحد غيرك شيئا

ربنا علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ينفعنا

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

قال الله جل وعلا في محكم التتريل

{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (*) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الحديد / 16-17].

يا عبـــــــــــــــــد الله.....

رقق قلبك.... ألن قلبك.... فإنَّ من أعظم العقوبات التي يضربها الله على العباد أن يُبتلوا بقسوة القلوب وقبل أن نشرع في هذه السلسلة المباركة لنرقق قلوبنا أريد أن أضع بعض التنبيهات بين يدي هذه السلسلة فعلينا أن ندفع الثمن أولا....

كان عكرمة حريصاً كل الحرص على ألا يصل هذا العلم – علم القلوب – إلى من لا يستحقه لذلك كان رحمه الله يقول " لا تعلموا العلم إلا لمن يعطـــي ثمنه، فقيل له وما ثمنه قال يضعه العالم عند من يعمل به"، فأي شيء سنتفق عليه إن شاء الله في هذه السلسلة هو ليس مجرد معلومات نتعلمها أو نتعارفهـــا وإنما جُعِل هذا العلم للتطبيق والتنفيذ والعمل به، لأن مسألة القلب وعلاجها تحتاج إلى متابعة دقيقة، لأن النبي ﷺ أخبرنا عن شـــأن هـــذا القلب وأخبر أن قلب ابن آدم أشد إنقلابا من القدر في غليانها، " لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنْ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا " [مسند أحمد وصححه الألباني في الصحيحة]،

تنقلب كما الماء الساخن في أشد درجة غليان.

القلب يتقلب هكذا...

لذلك كان أكثر دعائه ﷺ أن يقول يا " يَامُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " [أخرجه الترمذى وصححه الألباني]،

وكان يقسم فيقول لا ومصرف القلوب ولا ومقلب القلوب...(أخرجه البخاري)

فادفع الثمن.. والثمن هو العمل بمقتضى هذا العلم

وبيّن سفيان الثوري السبب فيما قاله عكرمة فقال "إذا رأيتم طالب العلم يطلب الزيادة من العلم دون العمل فلا تعلموه، فإن من لم يعمل بعلمه كشجرة الحنظل كلما ازداد ريا بالماء ازداد مرارة وإذا رأيتموه يخلط في مطعمه ومشربه وملبسه ونحوذلك ولا يتورع فكفوا عن تعليمه تخفيفا للحجة عليه غدا"..

هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل فينبغي أن يسعى الإنسان فيما يقربه إلى الله تبارك وتعالى يتعلم ليزداد خشية يتعلم ليعمل ويطبق وينفذ ولا يقيم الحجة على نفسه كل مرة

كفانا سماعا دون استجابة استجيبوا لله تعالى

كفانا سماع دون أن يتحرك الباعث من قلوبنا ومن أنفسنا للتغيير الحقيقي في حياتنا

يا عباد الله ما اجتمعنا هذا الإجتماع إلا لنضع أيدينا في أيدي بعضنا البعض ونأخذ بأيدي بعضنا إلى طريق الجنة

بنا إلى طريق الجنة ونبدأ هذا من حيث نسير ولا نسير إلى رب العالمين إلا بقلوبنا

فإذا كانت هذه القلوب معتلة... هذه القلوب سقيمة... هذه القلوب مريضة... هذه القلوب فيها ما فيها...

فلن يستقيم لنا طريق رب العالمين...

لما بعث قوم إلى سفيان الثوري يطلبون أن يحدثهم اشترط عليهم – وأنا أشترط عليكم – اشترط عليهم فقال "حتى تعملوا بما تعلمون ثم تأتوني فأحدثكم"، ثم أردف في صراحة واضحة فقال "يدنسون ثيابهم ثم يقولون تعالوا اغسلوها" يعني الواحد منا سير على هواه.. يسير كيفما يحلو له وحياته كيفما شاء، وتكون لديه مُسَّلمَات في الطريق لا تقبل الجدل ولا المناقشة، و سواء كانت هذه المُسَّلمَات ترضي رب العالمين أوتغضبه فقد أصبحت عادات قد اعتادها لا يستطيع أن يغيرها وبعد ذلك يقول

قلبي متعب، كان لي قلب ففقدته،،،

كنت ملتزما ولكن أصبح التزامي الآن التزاما أجوفا وهشا،،،

لا أجد قلبي... لا أجد نفسي... لم أعد أنا... هذا هوالمعنى

فلابد أن نتفق على هذا الشرط

"يدنسون ثيابهم ثم يقولون تعالوا اغسلوها"، إذاً من البداية ، ادفع الثمن أولاً

ودفع الثمن هوالعمل بقتضى هذا العلم، فكلما ازددت علماً كانت الحجة عليك أوكد،

ذكر الإمام الذهبي في ترجمة العبد الصالح عبد الرحمن بن شريح رحمه الله قال هانئ بن المتوكل قال حدثني محمد بن عبادة المعافري قال "كنا عند أبي شريح فكثرت المسائل فقال قد درنت قلوبكم" التلاميذ يجلسون مع معلمهم، مع شيخهم فقالوا قد كثرت المسائل علينا وأصبح من الصعب علينا أن نفهمهـــا وانصرفت قلوبنا ولم نعد نستطيع التركيز مع الشيخ ولا نستطيع هضم العلم الذي نكتسبه ونأخذه من هذا الشيخ، فيقول "لما كثــُرَت علينا المسائل قال الشيخ قد درنت قلوبكم" تعبت قلوبكم تلوثت قلوبكم " فقوموا إلى خالد بن حميد المهري فاستقلوا قلوبكم وتعلموا هذه الرغائب والرقائق فإنها تجـــدد العبادة وتورث الزهادة وتجر الصداقة وأقلوا المسائل فإنها في غير ما نزل تقسي القلب وتورث العداوة".

إذاً علم... علم... علم...

والأخوة والأخوات... نريد أن نتعلم، نريد أن ندرس فقه، نريد أن ندرس مصطلح، نريد دراسة كذا وكذا من أبواب العلم كل هذا حسن ولابد منـــه ولا يصح أن تسير في الطريق بدون علم وبصيرة، لكن خذ الطريق من أوله...

أول الطريق أن ترقق قلبك

أن تصلح من حال نفسك لذلك قال لهم الشيخ كلا ,لا يصح أن تأخذوا العلم والقلب فاسد،

قوموا لهذا الرجل الواعظ لعله يصلح ما فسد في قلوبكم،

تعلموا الرغائب تعلموا الرقائق،

فإنها تجدد العبادة وتورث الزهادة وتجر الصداقة

وابتعدوا عن هذه المسائل وهذه المعلومات التي ربما إذا نزلت على قلب سقيم زادته قسوة

وربما أورثت العداوة والعياذ بالله تعالى......

واشتاط وهب بن منبه ذات مرة غضبا فقال

"واعجبا من الناس، يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهوأشد"

أول شيء سنتفق عليه اليوم وقفـــــــــــــة نراجع فيها ما فات وما مات،

نراجع ما فات وما مات،

والسؤال هل مات قلبك؟؟ أم أن قلبك مريض مرض شديد؟؟

فأول وقفة بعد المحاسبة

ابكِ على خطيئتك

أتريد أن يرق قلبك.....

ابكِ على خطيئتك

انظر أين أنت؟؟ وانظر أين وصل حالك ؟؟

وانظر إلى هذا الحال هل يصل بك لطريق رب العالمين،

أين أصبحت من ربك؟ أين قلبك من ربك؟؟؟...

لما قال رجل لعبد الله بن سهل التستري دخل اللص بيتي وأخذ متاعي قال له اشكر الله

لودخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع..

بالله عليك وبالله عليكِ هل الشيطان داخل قلبك

أم أن قلبك محصن من غوائل الشيطان ومن وساوسه؟؟؟...

ولو ضاع منّا شيءا من حطام الدنيا الذي نجمعه هل سيصبح حزننا كماهو حزننا على ما حدث في قلوبنا

ونحن غرقى في وحل الغفلة

لودخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع؟؟

هذا هوالسؤال والذي ينبغي أن نجد له الجواب من تصرفاتنا ومن أفعالنا،

يا عباد الله أنتم تعلمون جيداً ما منزلة القلب

وكيف أنه الملك ولوصلح صلح سائر الأمر ولوفسد فسد سائر الأمر،

تعرفون أن ربنا جل وعلا في أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نطهر هذا القلب {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } [المدثر/4]، تعرفون أن طهارة هذا القلب شرط دخول الجنة،

فلو كان القلب طاهرا.. لوكان القلب سليما تدخل جنة رب العالمين...

جنة في الدنيا وجنة في الآخرة...

ولوأن هذا القلب مدنس فهذه هي المصيبة الكبرى،

أشد آية قد تسمعها في حياتك وقد تتوقف عندها طوال حياتك

تلك الآية في سورة المائدة حين يقول رب العالمين { أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة/41]...

يا رب عافِنا... يا رب... يا رب... طهر لنا قلوبنا...

وزنكِ أنفسنا يا ربـ... يا ربـ لا تـجعل فيـ قلوبنا شيئا لا تـحبه...

يا ربـ لا تـجعل فيـ قلوبنا شيئا لا يرضيك...

لا تـجعل فيـ قلوبنا حباً إلا لك ولا تعلقاً إلا بك...

هذا القلب بيت ومنزل الملائكة

والملائكة لا تدخل بيت فيه كلب ولا صورة،

فمَن كان منشغلا بمال أو جاه أو دنيا ومنصب وزوجة وحبيبة وأولاد ووو.....

شهوات تنبح داخل القلب فتُحرم دخول الملائكة فيه وصور للمعاصي والذنوب المستكنة داخل القلب

والملائكة لا تدخل قلب على هذه الشاكلة...

قلبك محل نظر ربك

فماذ يرى ربك في قلبك منك؟

يا عباد الله...

" إِذَا عُمِلَتْ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا وَقَالَ مَرَّةً أَنْكَرَهَا كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا " [أخرجه أبو داوود وحسنه الألباني]،،،

العبرة بالقلب هل يحب القلب المعصية؟؟؟

لوأن أحدنا يجلس في مكان تنتهك فيه محارم الله عز وجل ولا يستطيعأن يغير المنكر فغيره بقلبه،،،

يُحفظ ويُرحم ويكون بعيدا عن عقاب ربنا وعذابه،

لكن أحدهم قد لا يكون متواجدا حيث تنتهك المحارم لكن لو حُدِّثَ بها اشتهاها وأحبها وتاق إلى عمل هذه الأعمال وتأتي على فكره!!!!!....

يقول النبي صلى الله عليه وسلم " وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا "،

العبرة بقلبك { وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } [البقرة/ 225]،،،

قلبك... لابد أن تقف مع قلبك هذه الوقفة،

لايصلح أن يكون قلبك بهذه القسوة بهذا الجفاء عن رب العالمين.

دعنا اليوم نرقق هذا القلب بما يتيسر لنا من أدوية الإيمان

تعال في البداية أرقق قلبك بخبر بعض سلفنا الصالح وترى كيف كانت ترق قلوبهم الرقيقة وضع نفسك في نفس المشهد واسمع نفس الآيات وقف في نفس المشاهد وتحسس قلبك وقل له مالك بهذه القسوة لا تلين؟

وادعُ ربك أن يبدلك قلبا غير هذا القلب لعل الله عز وجل يستجيب....

أخرج أبونعيم في الحلية عن القاسم بن أبي برة قال حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قرأ { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (*) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (*) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (*) أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (*) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (*) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [المطففين / 6]...

حافيا... عريانا... ممسكا بصحيفتك... نادما... خجلانا... مستحيبا من ربك الحيي،

الذي لم تستح منه حين صنعت هذه المعصية { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }،

استشعر أنك الآن واقفا أمامه وقد أرخى عليك الستر...

تقف ليس بينك وبينه ترجمان

واقفا ولا مفر ولا مهرب لن تستطيع أن تجري أو تهرب وتفر لأن الفرار منه إليه

{ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ } [الذاريات / 50]

الكل يُفَر منه إلا الله.... فيُفَر إليه،

لكنك فررت في الدنيا وأعطيت ظهرك لربك جل جلاله

وتنكبت الطريق ولم تعمل لهذه الوقفة حسابا

لذلك كان ابن عمر يسمع هذه الآية فيتصدع لها قلبه يرق لها قلبه،

فهل رق لها قلبك؟؟؟

فيبكي حتى يسقط رحمه الله ورضي عنه ويمتنع من القراءة مما ألَّم به من الألم، ألم الندم.. ألم الحسرة...

كان ابن عمر إذا قرأ هاتين الآيتين لا يتجاوزهما أبداً إلا وهويبكي

{ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْتُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ} [البقرة / 284]...

ماذا ستخفي؟؟

هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة, الرب يعلم السر وأخفى هل تستخفي من الناس ولا تدري أن رب الناس مطلع عليك رقيب عليك يحصي عليك أعمالك سواءا أفشيت(أعلنت) أوأخفيت الكل ستحاسب عليه { وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْتُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ}،،،

فيا تُرى ستدخل فيمن يغفر الله له أم فيمن يعذبه

قف واستشعر هذا المعنى ورقق به قلبك انظروا على أي شيء كانوا يبكي الصحابة والسلف!! ...

وانظر أنت لحالك على أي شيء تبكي ؟؟!!

أخذ الترمذي والنسائي من حديث أبي وائل قال : جاء معاوية رضي الله عنه إلى أبي هاشم بن عتبة رضي الله عنه وهومريضٌ يعودُه، فوجدهُ يبكي، فقال: يا خال ما يبكيك؟ أوجعٌ يُشئِزُك؟ أم حرصٌ على الدنيا؟ فقال: كلا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدَ إلينا عهداً لم نأخذ به، فقال: وما ذاك ؟ قال: سمعته يقول " إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [مسند أحمد]، وأجدني اليوم قد جمعت .(حسنه الألباني في صـــحيح الترغيـــب والترهيب) فلما مات جمعوا ما خلّف، فبلغَ ثلاثين درهما !!!!!

كان يبكي لأن الدنيا فُتِحت عليهم، يبكيي لأنه لا يكون عمل بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم ،،،،

ياترى هل نبكي نحن على جمع الدنيا أم على فوات الدنيا ؟؟؟

هذا هوالمعنى،،،

انظروا إلى عمر رضي الله عنه وقد دخلَ على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فيجده وقد أثّر الحصير في جنبه فيبكي عمر، " دَخَلْتُ عَلَى رَسُـــولِ اللَّـــهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَالَ فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْـــوِ الصَّـــاعِ وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَالِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّـــرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى"– لا يوجد عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا قبضه من شعير، كل ما عنده صلى الله عليه وسلم لا يســـاوي شيء من مطعم ومن أثاث– " وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَـــى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمْ الدُّنْيَا قُلْتُ بَلَى"[أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني]، فيمضي الزمان وتُفتح الأمصار فيبكي عمر رضي الله عنه يوم فتح الله عـــز وجل على المسلمين يوم معركة القادسية، فيدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فيقول يا أمير المؤمنين هذا يوم فرح وهذا يوم سرور وأجدك تبكي، قال أجل ولكن لم يؤتى هذا قومٌ قط إلا أورثهم العداوة والبغضاء، فأنا أبكي من أجل ذلك،،،،

كانوا يبكون خوفاً من أن تدخل الدنيا في قلوبهم، ونحن لا نبكي على أحوالنا وقد تملكت الدنيا قلوبنا والعياذ بالله تعالى، كان أحدهم ربما تنزل الآية فيشعر أنها تخاطبه هو، أنها موجّهه له وحده

وهذا هوالمطلوب منّا وهو واجبنا العملي،

أن نتعامل هكذا مع القرآن

فتنزل آية كقول الله تعالى :ـــ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات /2].. فيغلق ثابت بن قيس رضي الله عنه عليه داره ويأخذ في البكاء، ويفتقده النبي صلى الله عليه وسلم ,فيقــول للــنبي صلى الله عليه وسلم أنا رجلٌ جهير الصوت وقد كنت أرفع صوتي فوق صوتك فأنا أخاف أن يكون قد حبط عملي فأكون من أهل النار،،،

بعد أن نزلت هذه الآية يعلم أنها تخاطبه هو، هذا الكلام موجه إلي، سيسألني الله عز وجل عن هذا الكلام ويؤاخذني ويحاسبني عن كل هذه المعاني،،،،

ألم تسمع كلامي ....؟؟؟!!!!!

ألم يصلك قولي كذا وقولي كذا ....!!!

فماذا صنعت يا عبد الله ؟؟؟!!!؟؟

ضيعتَ عمركَ بعيداً عن طريق الله، فلا تحرم نفسك....

نريد أن نتعايش هكذا مع القرآن، نُرقق به قلوبنا، نُشعر القلب بقرب الرب جل جلاله،،ونحن نتعايش مع آيات ربنا تبارك وتعالى،

فليس شيء من أدوية الإيمان أنفع للقلب من تدبر القرآن، ومن تلاوة القرآن، وإذا غفلت القلوب عن القرآن فقد ماتت ووُضع عليها القفل،،،

{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد / 24]

القرآن يداوي القلب، وهوأنفع الأدوية في علاج قسوةِ القلب

وتعالوا نتعايش مع هذه التجربة العملية، التي يقصها بعض الصالحين،

وهويحكي كيف بدأ يتعايش مع القرآن، ويرقق قلبه بالقرآن، يقول:

كنتُ بين رُفقه – مجموعه من الأصدقاء – نتسامر، فإذا بنا نسمع صوت قارىء للقرآن من قريب،

يتلو سورة النجم، وكأني لأول مرة أسمع هذه الآيات، وأول مره أتعايش معها،

وأول مره استشعر ما فيها من هذه المعاني العظيمة،

وكان صوت القارىء مؤثراً وهويرتل القرآن ترتيلاً حسناً،

فعشت معه شيئاً فشيئا فيما يتلوه،

عشت مع قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو في الملأ الأعلى،

عشت معه والله سبحانه وتعالى يقول { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم /11]،

عشت معه وهويشهد جبريل عليه السلام،

عشت معه وهويتقرب حتى يصل إلى سدرة المنتهى وجنة المأوى،

عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي وتحلق بي رؤياي وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي،

إلى أن وجدت نفسي أنساق خلف الآيات، أقف أمام كل آية من هذه الآيات وأنا أشعر كأني أسمعها أول مرة ،

حتى وقع على مسامعي صوت هذا النذير الأخير قبل الكارثةِ الداهمة،

والله رب العالمين يقول { هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى} ...

{ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى (*) أَزِفَتِ الآزِفَةُ (*) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ } [النجم / 56–58]...

قـــــــــــــــد آن الآوان والله،،،

أَزِفَــــــــــتِ الآزِفَةُ والله،،،

تتوالى علينا النذر ليلا ونهارا، وقد استحكمتالغفلة ، و لا يتغير الحال ،

تسمع في قصص حسن وسوء خاتمة ولا يلين القلب

ترى مشاهدا أمامك، ترى أناسا يتساقطون من حولك ويموتون فجأة ولا يرق القلب،

ترى بعيني رأسك أناسا يموتون ويدفنون في قبورهم في بيت الظلمة، بيت الوحشة ولا يرق القلب،

ترى أناسا يتخطفهم الموت، ويبتلون بالأمراض المستعصية وفي نفس عمرك،

وفي نفسك حالك، وفي نفس شبابك ولا يرق القلب،

تسمع الموعظة تلوالموعظة، وتقام عليك الحجة بعد الحجة والقلب ملتفت، والقلب مُعرض،

والقلب يفكر في غده ماذا سيفعل ,وأين سيبني بيته وكيف سيربي أطفاله، وكيف سيشتري الشقه ووو....

كل هذا ولا يرق القلب

هذا نذير ... هذا نذير من النذر الأولى

أما أزفت الآزفه ... أما آن الآوان ؟؟؟!!!

إذا جاء الآوان فولات ... فولات حين مندم...

لا تحسرات، لا ندم، لن ينفعك شيء

{ أَزِفَتِ الآزِفَةُ (*) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ }

ألم يمر عليك هذا الموقف، ألم تحيي هذا الموقف

ألا تجدي أحدا لك يجبر كسرك ويأخذ بيدك إلا ربك .. رب العالمين

لن يأخذ بيدك أحد، لن يكشف ضرك لن يكون لك أحد في هذا الموقف في هذا المشهد إلا رب العالمين،

ليس لها من دون الله كاشفة { وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ } [التوبة / 118]...

فعاش هذا الرجل الصالح هذا المعنى داخل قلبه، استشعر أن القرآن يصرخ فيه وينادي عليه، ويقول له أفق.... اشعر،

ألم ترقق كل هذه النذر والآيات قلبك بعد؟ ولم تجعلك تراجع حساباتك؟، مازالت تقول وتفكر...

{ أَزِفَتِ الآزِفَةُ (*) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (*) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ } [النجم / 57-59]...

هل من الممكن أن يظل أحد من الناس في الغفلة بعد أن يسمع هذا الكلام ؟،

هل هناك من يقولون لماذا يُقال لنا هذا الكلام،أليس هناك كلاما آخر يقال؟

لماذا يشدد علينا، لا نريد سماع هذه الكلمات،

رققوا قلوبنا بشيء آخر، قولوا لنا شيئا يُرغب قلوبنا

أمازال هناك أناس تتعجب، { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ }

هناك أناس للأسف الشديد تأخذ الأمر على محمل اللعب والسخرية، تأخذ دينها لعبا ولهوا،

ودنياها زينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد

{ أَزِفَتِ الآزِفَةُ (*) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (*) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (*)وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ} [النجم/57-60]

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا

{ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (*) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ } [النجم / 60-61]...

أي لاهون، تلعبون، تجلسون في مجالس السمر فرحين، على أنكم أبعد ما تكونون من رب العالمين

{ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (*) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (*) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (*) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم/59-62]...

قد نستطيع السجود بأجسامنا، لكن أين سجود قلوبنا ؟؟!!!

يقول هذا الرجل الصالح لّما سمعت { فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا}.... كانت الرجفة...

استشعرت برعشة في جسدي.... انتفض جسدي ... وقد سرت هذه الآية حقاً من قلبي إلى أوصالي .... استشعرت أنها قد دخلت في كل خلية في جسدي ... تسللت بين أعصابي ... واستحالت رجفة ...

ووجدت جسدي مرتعشا .... لم أملك مقاومتها ...

فظل جسمي هكذا لا أتاملك أن أثبته ولا أن أُكفكف دموعاً سقطت من عيني وأنا مستشعر لهذا المعنى،

ولا أملك أن أحبسها مع الجهد والمحاولة،

وأدركت في هذه اللحظة أنه ينبغي ألا تكون هذه السجدة من أعضائي وأطرافي فقط وإنما أن تكون سجدة القلب،،،

هذا هوالقرآن لما تعيشه بطريقة صحيحة ... لما تُرقق قلبه به بطريقة صحيحة..

لكن إن كان قلبك ميتا كان قلبا لا تنفعه الذكرى ولا تمر هذه الآية عليه إلا بغفلة وإعراض

وهناك آخر قلبه حي ... مستعد أن يسمع الآيات ... وأن يتعايش معها

وهناك آخر ما أن تنزل الآية تجدها في أعماقه

– كهذا الرجل الصالح لدما نزلت عليه آيات سورة النجم هكذا –

تعالوا بنا لنتفق كيف نُرقق قلوبنا ونفتح هذه القلوب بالقرآن،

بشكل عملي، بشكل تطبيقي على مدى هذه السلسلة المباركة،

فأول جرعات الدواء وأول ما سنأخذه معين القرآن هذه

أولاً: المعـــــايشة ::بأن تفهم ما تقرأ

بأن تعيش القرآن بشعورك، بأحاسيسك، بكل شيءٍ فيك ...

لأن هذا كلامك ربك .. حبيبك .. سيدك .. مولاك .. قرة عينك ..

كلام حبيبك إلى قلبك, فكيف يتلاقاه القلب !!!! عش الآية واستشعرها

كان الحسن يشتكي أهل زمانه فيقول "إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان لا علم لهم بتأويله، لم يأتوا الأمر من قِبل أوله"،

يقول الله جل وعلا{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } [ص /29]...

عش المعنى واقرأ القرآن ...

ول حتى تحيا مع سورة واحدة على مدى شهر تقرأها وتُكررها وتعاود النظر في معانيها

ثانياً: الصلاة بسورة النجم وتكرار الآيات

واجبنا العملي اليوم بعد انتهاء المحاضرة إن شاء الله سنصلي بسورة النجم، ومن لا يحفظها يقرؤها من المصحف وكلنا سنقف المشهد الذي تدبرناه هـــذا وسنعيد الآيات التي توقفنا عندها عشرة أوعشرين مرة وسنُسمع هذا المعنى لقلوبنا حتى نصل إلى أن تسجد قلوبنا..

والله بإذن الله ستسجد...

فستسجد خشية لله تبارك وتعالى استشعارا لهذه المعاني

من الطرق التي تُدخل القرآن إلى القلب فترقق القلب التكرار لأنه يورث الاعتبار قال إبراهيم بن الأشعث "سمعت الفضيل بن عياض يقـــول ذات ليلـــة وهو يقرأ سورة محمد فيبكي ويردد هذه الآية {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ } [محمد/31]"

يقول إبراهيم بن الأشعث أن الفضيل قد قرأهذه الآية وأخذ يردد {وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ }...

{ أَخْبَارَكُمْ }... يعني أسراركم التي في داخل قلوبكم... ما بداخل بواطنكم...

ربنا سيبلوه... ربنا سيكشفه... ربنا سيمتحن هذه القلوب وستهتك الأستار يوم تبلى السرائر....

فكان الفضيل يردد الآية ويقولها مرة تلوالأخرى يقول "وتبلوا أخبارنا... فإن بلوت يا رب أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا.. إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا يا رب... إن بُلينا بذلك فبلوت أخبارنا افتضحنا على رؤوس الأشهاد وهلكنا الهلاك الذي ليس بعده هلاك".

يااااااااه أعد الآية مرة ثانية وعش المعنى ثانية {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ }

رب العزة يقسم...

وما يدعوك يا رب أن تقسم...

وما يدعوك يا رب أن تقسم على هذا وهو علم الغيب الذي هو عندك...

يقول {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ } والله سيكون ذلك سيكون البلاء... سيكون الإختبار سيكون الإمتحان { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ}...

سيأتي البلاء لا محالة في الدنيا والآخرة...

سيأتي البلاء ويرى الله الصادق ويرى الله الكاذب..

وسترى هل عندك علو الهمة أم أنت دني الهمة...

هل أنت ممن ستجاهد في الله حق جهاده لأنه اجتباك واصطفاك ولأن الله جل وعلا قد من عليك بمنن عظيمة

أفلا يكون حق الله علينا أن نبذل له الغالي والنفيس حتى يرضى عنا؟!!

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوأَخْبَارَكُمْ }

ردد الآية... عش مع الآية...

قل عسى أن يكون قريبا قل عسى أن يكون الأمر قريباوأنا لا أدري

قل { عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ } [طه / 52]

تفكر وتذكر....

كان أبوسليمان الداراني يوصي فيقول "إذا وجدت قلبك في القيام فلا تركع، وإذا وجدته في الركوع فلا ترفع، لووجدت قلبك فقف وتحسس، لو وجدت عينك بدأت تدمع، لو وجدت قلبك بدأ يخشع زد في جرعة الدواء، خذ ثانيا وثالث ورابع حتى يرق هذا القلب كرر فالتكرار يورث الاعتبار

الأمر الثالث

بعد الفهم والتكرار

عش بأنك المخاطب.

قرأ ثابت البناني { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } [الهمزة/7]،

النار.... النار....

تأكل النارهذا العبد المعذب فيها، تأكله إلى فؤاده .. فتبلغ به أشد العذاب ..

فكان ثابت إذا قرأ هذه الآية يقول "تأكله إلى فؤاده وهو حي !!" وهو حي هذه الحياة وهو في النار معذب .. لا يرى فيها موتاً ولا يرى فيهـــا الحيـــاة، بمعنى أن يهنأ ويطمئن، فيقول "تأكله إلى فؤاده وهو حي لقد تبلّغ فيهم العذاب"، وصل العذاب لأعلى درجة قد يتصورها أحد، ثم يبكي فيبكي من حوله ويقول "لم خص الأفئدة بالذكر؟"،

لماذا قال القرآن { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } ؟

لماذا لم يقل القرآن أنها التي تطلع على رأسه ؟ التي تشوي جسده؟؟ إنما قال : النار التي تطلع على الأفئدة ؟ قالوا لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه...

أي أنه في حال من يموت من شدة الألم!!!

أي أن النار لما أكلت فؤاده فقد وصل إلى درجة لوكان في الدنيا لمات موتة شديدة جدا أشد الميتات ألما ووجعا!!

لكن حيل بينه وبين الموت فهوهكذا!!!

وهذا الذي أبكى ثابت، وهذا الذي حري بنا أن يبكينا،

وهذا عمر بن عبد العزيز قرأ عنده رجل قول الله جل وعلا في سورة الفرقان { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان/13]،،،

إذا ألقوا في النار، ويلقون من مكان ضيق،

ويلقون وهم مقيدين في السلاسل، مقيدين مقرنين،

فما أن يسقطوا في النار هنالك يصرخون .. يستغيثون ...

{دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } ،

قالوا واا ثبوراه،

صرخوا وهتفوا ولكن من يسمع ؟؟ ولكن لن ينفع؟؟

فكان عمر بن عبد العزيز إذا سمع هذه الآية يبكي حتى يغلبه البكاء ويعلو نشيجه فيقوم كل من في مجلسه ويدخل بيته وقد تفرق الناس وهوما زال على بكاءه!!! ألا تفكر ؟ألا تفكرين؟ ما الذي يبكي عمر؟!

استشعر عمر أنه هوالمخاطب، أنه هو من سيلقى في النار،

أنه من سيصرخ ويقول واثبوراه

أنه من سيكون باك في جهنم ..

وهوعمر وأنتم تدرون من عمر!!

وذات مرة صلى سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ قوله جل وعلا في فاتحة الكتاب{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة /5]،

فبكى سفيان حتى انقطعت قراءته ثم عاد فحاول أن يقول { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة /2]،

حتى ينطق بها فما استطاع !

ألا يستطيع أن يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }؟؟!!

لماذا لا يستطيع أن يتجاوزها؟؟ لماذا بكى سفيان؟؟ لماذا بلغ المعنى إلى قلبه ؟؟

وهو يكرر الآية في الصلوات سبعة عشر مرة،

وصل إليه المعنى

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ } هل أعبده سبحانه؟؟ أم أعبد نفسي ؟

أم أعبد شهواتي أم أعبد الدنيا ؟

"تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " [صحيح ابن ماجه/صححه الالباني]

من أعبد ؟؟ من يأمرني ؟هواي أم شرع رب العالمين؟؟

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ } بصدق أم أننا كذابون!

{ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } هل أتوكل عليه سبحانه؟ أم على قدراتي أم امكانياتي؟

أم على الواسطة التي لدي؟ أم أم أم

بمن أستعين ؟؟!!!

أستعن برب العالمين؟ أم أستعن بنفسي أم بمن هو من المخلوقين!

يا ليتنا عقلنا عن الله ولوحرفا ... ليتنا نتقرب من الله ولوشعره ... ليتنا نعيش في أنواره ولولحظة!!

يارب نفهم ولوحرفا،

يارب نتقرب ولوأدنى أدنى شيء ولوشعره

يارب نحيا في نور الهداية ولولحظة ..

هذه هي أغلى وأعلى أمانينا في الدنيا .. نريد أن نحيا هذا المعنى ..

نكرر الآية ونحاول أن ندخلها القلب علّه يرق,علّه يشعر!

هذاهو الدواء الشافي، هذاهو الدواء لمرض قلوبنا ..

تعالوا بنا نأخذ اليوم هذه الوصفه ،

وقد اتفقنا على قراءة سورة النجم وأننا سنصلي بها ونتعايش المعاني التي توقفنا عندها، سنحاول أن نفهم .. سنحاول أن نكرر الآية مرة واثنين وثلاثة، سنشعر مع كل آية أننا نحن المخاطبون بها،

وبعدها نضع أيدينا على قلوبنا وحين نسجد في آخر الصلاة ندعو الله جل جلاله أنه يكون سجود لأبداننا وقلوبنا

وإن شاء الله كلنا سندعولبعضنا البعض هذه الليلة

أن يتقبلنا الله جل وعلا في عباده الصالحين... وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

وأن لا يكتب علينا الموت إلا وقد طهرت قلوبنا وسلمت فلا نأتيه إلا بقلب سليم،

نريد أن نتواصى بهذا الدعاء كلنا إن شاء الله لبعضنا البعض..عسى أن يسلل سخائم صدورنا وقلوبنا!!

اللهم كن لنا ولا تكن علينا.. وانصرنا ولا تنصر علينا..

وامكر لنا ولا تمكر علينا.. وانصرنا على من بغى علينا،

رب اجعلنا لك ذكارين .. لك شكارين . إليك أواهين منيبين ..

تقبل يارب توبتنا .. واغسل يارب حوبتنا .. وأجب يارب دعوتنا .. واسلل سخائم صدورنا ...

يارب إن أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين غير خزايا ولا مفتونين ..

يا منان منّ علينا بالهداية والالتزام ..

اللهم أنت القدوس فطهر قلوبنا.. اللهم إنك الحي فأحيي قلوبنا..

اللهم أنت القيوم فأقم قلوبنا على درب الإستقامة على طريقك

{ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر/ 44]

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك،

، اللهم صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

فضيلة الشيخ

